أ) اللسانيات و دراسة اللغة :

1- موضوع علم اللغة :

لقد أثبتت اللسانيات الحديثة عددا من الحقائق صار منها اليوم من المسلمات التي لا تجادل، فدخلت بذلك في حيز البديهيات، واكتسبت أهميتها لا من أجل صحتها فحسب بل لكثرة ما تفرع عليها من مبادئ جزئية أفاد منها الباحثون في شتى الميادين مما له علاقة بظواهر اللسان والتبليغ [1].

علم اللغة أو علم اللسان أو اللسانيات هو الدراسة العلمية الموضوعية للسان البشري من خلال الألسنة الخاصة لكل قوم و يسمى بالفرنسية : Linguistique و الغاية من هذا العلم هي التطلع إلى أسرار اللسان كظاهرة بشرية عامة الوجود ، و من ثم إلى القانون الذي يضبط بنيته و مجاريه و تطوره على مر الزمان و كيفية استعمال الناطقين به وغير ذلك بالاعتماد على أمرين :

1 – مشاهدة الظواهر اللغوية الجزئية ثم استنباط قوانينها .

2 – الاستدلال العقلي و العلمية الافتراضية الاستنتاجية .

و قد نبه إلى هذا دوسوسير فقال : إن موضوع علم اللسان الوحيد و الصحيح هو اللغة معتبرة في ذاتها و من أجل ذاتها [2] .

وقد جاء في معجم اللسانيات لجون دي بوا أن اللسانيات هي " العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع بعيدا عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية ، و كلمة (علم) الواردة في هذا التعريف لها ضرورة قصوى لتمييز

---

(1) عبد الرحمان الحاج ، بحوث و دراسات في علوم اللسان ، ص : 184 .

(2) Ferdinand de Saussure : Cours de Linguistique général, quatrième édition Payot ; Paris 1949 ; p : 317.

هذه الدراسة من غيرها ، لأن أول ما يطلب في الدراسة العلمية هو اتباع طريقة منهجية والانطلاق من أسس موضوعية يمكن التحقق من إثباتها .

إن تقديم الأبستمولوجيا اللسانية يعطي للسانيات مرحلتين متميزتين :

المرحلة الأولى : وهي المرحلة البنيوية ، و تبدأ بظهور كتاب فردينان دوسوسير سنة 1916 " محاضرات في علم اللغة العام " و تتميز هاته المرحلة بكونها حددت إطار اللسانيات كعلم يدرس اللغة في ذاتها ولذاتها، أي أنها تدرس نسق اللغة بمعزل عما تتناوله تلك اللغة من فكر .

وتأتي فرادة اللسانيات من موضوعها حيث تدرس اللسان:

(اللسانيات : اللسان + يات) ، فتدرس النسق بمعزل عن الخارج – لساني و من هنا تختلف اللسانيات عن النحو ، فإذا كان هدف الأولى دراسته النسق اللساني فإن الثاني هدفه المحافظة على اللغة من الخطأ .

ومن هنا تنبثق البنيوية كمنهاج بنته اللسانيات من موضوعها، لأن المحايثة Immanentisme كمعطى علمي حديث لم تجد وعاءها إلا في المنهج البنيوي الذي يلغي الخارج – لساني – ليدرس النسق في علاقاته الترابطية والاستبدالية وتبدأ المرحلة الثانية في الوقت الذي لم تسع البنيوية طموحات اللسانيات، فنشأت لسانيات الخطاب التي ركزت اهتمامها حول الخارج – لساني أي بمحيط التواصل، فتطورت مع التداولية والحجاج، فكان اهتمام الأولى بالعلامة في علاقتها بالمستعمل واهتمام الثانية بالمسألة الحجاجية بين المرسل و المتلقي [1].

إن دوسوسير يسند ثلاث مهام للسانيات العامة، وهو الاسم الذي أطلقه على العلم الجديد الذي ينبغي ان يحل محل اللسانيات التاريخية و النحو المقارن وستكون مهمة اللسانيات:

---

(1) كاثرين أوريكيوني ، فعل القول من الذاتية في اللغة ، ترجمة محمد نظيف افريقيا، الشرق – المغرب، د، ط ، 2007، ص : 5 – 6 .

أ / أن تصف و تؤرخ لجميع اللغات التي ستتمكن من الوصول إليها مما يقود إلى إعداد تاريخ للأسر اللغوية و إلى إعادة بناء اللغات الأم لكل أسرة ، قدر المستطاع .

ب / أن تبحث عن القوى الفاعلة بشكل دائم و كلي في جميع اللغات و إبراز القوانين العامة التي يمكن أن ترجع إليها جميع ظواهر التاريخ الخاصة.

ج / أن تحدد مجالها و تعرف نفسها بنفسها [1].

و يحرك هذه القائمة عند دوسوسير حافزان أساسيان هما : البحث عن التعميم ، و تأسيس علم " نافع " .

" إن اللسانيات المتصورة على هذا النحو ، أي [علما] يعني باللسان (Langage) في جميع تمظهراته ، و هو ما يعد موضوعا غاية في الاتساع ، يجعلنا ندرك على التو ما لم يكن واضحا في جميع الحقب ، أي فائدة اللسانيات أو الصفة التي ستظهر بها ضمن دائرة الدراسات التي تدخل في اهتمام ما يطلق عليه الثقافة العامة " [2] .

2- دوسوسير و البنوية :

ظهرت البنوية كاتجاه للبحث في العلوم مع ظهور اللسانيات ومحاضرات فردينان دوسوسير الذي تأثر بالأمريكي ويليام وايتني W . Whitney (1827 – 1894) خاصة في فهم اللغة على أنها نظام علامات و العلاقة بين الفرد و الجماعة، وبين اللغة والفكر .

لقد كان دوسوسير أول من أظهر للناس – من دروسه – أهمية الدراسة البنوية بوصفه وتحليله لمفاهيمها و مناهجها و احتجاجه المقنع لصحتها وعظيم فائدتها، ذلك أنه استطاع أن يجعل مفاهيم اللسانيات من معاني و أفكار نظـــــاما فخما دقيقا منسجم الأطراف بعيد

(1) : ماري آن بافو ، جورج إلياس رفاتي ، النظريات اللسانية الكبرى، ص : 107 .

(2) : نفسه، ص : 108 .

الغور ، حيث لا يزال العلماء إلى حد الساعة يتعجبون من نفوذ ذهنه و قدرته على توضيح المفاهيم الغامضة و تركيب المعاني المنفصلة المتباعدة ، و التوفيق بين النظريات المتنافية [1] .

إن فكرة البنيوية عند سوسير بسيطة تتلخص في نظرته إلى اللغة بوصفها نظـــــــاما أو هيكلا مستقلا عن صانعه أو الظروف الخارجية التي تحيط به، و ينظر إلى هذا الهيكل من داخله من خلال مجموعة وحداته المكونة له بوصفها تمثل كلا قائما بذاته [2].

و حتى يعثر سوسير على هذا الموضوع – موضوع اللسانيات – بوصفه ممتحنا اللغة Langage (الكلام الإنساني) و اللغة المعنية Langue (اللسان) و الكلام parole (التحدث) [3] .

إن اللسان ظاهرة اجتماعية و معنى ذلك أن اللسان غير مرتبط بالفرد كفرد بل هو مجموع من الأدلة يتواضع عليه المستعملون و هو ما كان يسميه علمـــــــاؤنا بالوضع و يقابله الاستعمال إن الوضع يرثه الخلف عن السلف ، و به تتمكن الأفراد من التفـاهم و بيان أغراضهم بعضهم لبعض. ولا تبليغ ولا إفادة يمكن أن يحصلا إلا بالوضع لأنه شيء مشترك بين الأفراد، أما استعمال هذا الوضع أو كيفية أدائه في الخطاب فهذا راجع إلى الفرد [4].

إن اللسان في حد ذاته هو نظام من الأدلة المتواضع عليها، فاللسان على هذا ليس فقط

---

(1) : عبد الرحمان الحاج صالح ،بحوث و دراسات في علوم اللسان ، ص : 152 .

(2) : الطيب دبة ، مبادئ اللسانيات البنوية، دراسة تحليلية ابستيمولوجية دار القصبة للنشر – الجزائر، د – ط، 2001، ص : 46 .

(3) : بريجيته بارتشت ، مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي ترجمة : سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار للنشر و التوازيع – القاهرة – مصر، ط1: 1425 هـ - 2004 م، ص: 95 .

(4) : عبد الرحمان الحاج صالح ، مرجع سابق ، ص : 188 .

مجموعة من الألفاظ يعثر عليها المتعلم في القواميس أو يلتقطها بسمعه من الخطابات ثم يسجلها في حافظته، بل هو نظام من الوحدات يتداخل بعضها في بعض على شكـــــــل عجيب، و تتقـــابل فيها بنـــاها في المستوى الواحد التقابل الذي لولاه لما كانت هناك دلالة [1].

ويقدم دوسوسير ، بإثارته لإحدى المناقضات الأساسية في محاضراته أي اللغة المتميزة عن الكلام ، التعريفات الأكثر وضوحا للغة ، و يلقي الضوء ، في الوقت نفسه ، على العلاقة القائمة بين اللغة و اللسان و يرى أن اللغة المتميزة عن الكلام هي موضوع يمكن دراسته منفصلا [....] .

و علم اللغة لا يستغني عن باقي عناصر اللسان الأخرى و حسب، بل إن وجوده لا يكون ممكنا إلا بتخلصه من تلك العناصر. إن اللسان غير متجانس ، بينما اللغة ذات طبيعة متجانسة : إنها نسق دلالات ، حيث اتحاد المعنى بالصورة السمعية هو الجوهري وحيث طرفا الدلالة نفسيان كذلك .

و في نقطة أخرى يرى دوسوسير أن اللغة لا تقل أهمية عن الكلام في كونها موضوعا ذا طبيعة مادية [.....] و الدلالات اللغوية، و إن كانت نفسية بالأسـاس، ليست مجرّدات [2].

إن الكلام الإنساني، ككل، له أشكال كثيرة وغير متشابهة، تابع لمجالات مختلفة، فهو فيزيائي ونفسي وفسيولوجي في الوقت ذاته، ويتبع فضلا عن ذلك المجال الفردي والمجال الاجتماعي ولا ينتظم في فصيلة من العلاقات الإنسانية لأن المرء لا يعرف كيف اشتقت وحدته [3] .

---

(1) : عبد الرحمان الحاج صالح ، مرجع سابق ، ص: 191 .

(2) : ماري آن بافو ، جورج إلياس رفاتي ، النظريات اللسانية الكبرى ، ص: 112 – 113 .

(3) : بريجيته بارتشت ، مناهج علم اللغة ، ص : 95 .

3- اللغة في مقابل الكلام :

إن اللغة اجتماعية (فقط ما يهم الجماعة يدرج في اللغة) فهي تستوعب ما هو جوهري و تسعى من خلال معايير ثابتة إلى الثبات و توجهها قواعد و هكذا فاللغة هي شكل.

أما الكلام هو الحديث الفعلي، أو الاستعمال ، فردي ، يستوعب ما هو عارض بدرجة أقل او أكثر، و يسعى إلى الدّينامية، و يجيز نشوء القياسات، و هكذا : فالكلام مادة ومجمل ذلك ما قال به دوسوسير : أنه ما تفصل به اللغة عن الكلام فإنه يفصل :

1 – ما هو اجتماعي عما هو فردي.

2 – ما هو جوهري مما هو إضافي و ما هو عارض بدرجة أكثر أو أقل [1].

إن حيوية اللغة تقدر بالإضافة إلى كثرة استعمالها في التخاطب اليومي العفوي (الذي لا صنعة و لا تكلف فيه)، فإذا انحصر استعمالها في بعض المناسبات، و بعض الظروف المعيّنة: كالخطب والمحاضرات والندوات الرسمية والنشرات الإخبـــــارية وغيرها، انقطعت عن الواقع المعيش في أكثر مظاهره، وصارت لغة هامشية، وعجزت عن تأدية الكثير من مفاهيم الحياة [2].

4- الدليل اللساني و القيمة اللغوية:

اللغة – في نظر دوسوسير – عبارة عن " مستودع من العلامات " و العلامة وحدة أساسية في عملية التواصل بين أفراد مجتمع معين ، و تضم جانبين أساسيين هما الدال (Signifiant) و المدلول (Signifie) فالدال هو الصورة السمعية التي تدل على شيء ما أو تعني شيئا ما ، و المدلـــــول هو " التصور " أو الشيء المعني . ويرى دوسوسير

---

(1) : المرجع السابق ، ص : 97 .

(2) : عبد الرحمان الحاج صالح ، بحوث و دراسات في علوم اللسان، ص : 185 .

أن العلامة اللغوية لا تربط شيئا باسم بل تصورًا بصورة سمعية ، و هذه الأخيرة ليست الصوت المادي الذي هو شيء فيزيائي صرف بل هي البصمة النفسية للصوت ، أو ذلك الإنطباع الذي تشكله على حواسنا [1].

إن العلامة اللغوية تنتظم داخل الأنظمة العلاماتية التي تترابط فيها العلامات المفردة ترابطا منظما ، فقيمتها " Valeur " لا تتحصل إلا في ربطها بالعلامات الأخرى للنظام ذاته .

و قد وصف دوسوسير العلامة اللغوية بالاعتباطية و الأفقية ، باعتبارهما خاصيتين أساسيتين فقد كانت الأخيرة في بادئ الأمر غير إشكالية فالعلامات تنطق أفقية متجاورة.

فاعتباطي تعني في هذا السياق أن الربط بين التصور و الصـــــورة الصوتيـة ليس سببا، مثال ذلك: لا يوجد أي تعليل لأن توصف الشجرة بنبات ذي خواص نباتية محددة للغاية[2].

اللســـــان وضع و استعمـــال، لفظ و معنى، يعني أن اللغة مجموعة منسجمة من الدوال و المدلولات ذات بنية عامة ثم بنى جزئية تندرج فيها و هذا هو الوضع، و ما يسمى بالقياس هو المعقول من هذا الوضع أي ما يثبته العقل من انسجام و تناسب بين بعض العناصر اللغوية و العلاقات التي تربطها، و من جهة أخرى ما يثبته من تناسب بين العمليات المحدثة لتلك العناصر على شكل تفريقي او توليدي (من الأصول إلى الفروع) أما الاستعمال فهو كيفية إجراء الناطقين لهذا الوضع في واقع الخطاب [3] .

إن العلامة اللغوية تنطوي على القصد إذ يقتضي دستورها الدلالي توفر النية في إبلاغ ما تفيده، و في هذا تتميز عن القرينة، لأن القرينة تشمل كل شيء يدرك مبـــــاشرة فيفيد

---

(1) : أحمد مؤمن : اللسانيات النشأة و التطور، ص : 127 .

(2) : بريجيته بارتشت ، مرجع سابق، ص : 102 – 103 .

(3) : عبدالرحمان الحاج صالح، مرجع سابق ، ص : 195 .

دلالة تتعلق بغيره، كدلالة السحاب على المطر ..... ففي هذه الحالات تحتاج إلى تأويل نعقد به بين المعلوم و المجهول بناء على القرائن.

إن العلامة تدل بوضع هو اصطلاح متفق عليه تصريحا أو مسلم به ضمنيا، ولا يكون أمر المتلقي للعلامة إلا قاطعا فإما هو عالم بالاصطلاح فمستفيد إذن بفحواها وإما هو جاهل فلا ينفعه اجتهاد فيها و لا تأويل بشأنها [1].

إن المتصور العلامي يعتبر مقترنا بدرجة العرفية التي فيه ، و هذا يعني أن جوهر العلامة من الاصطلاح ، أنها وضع قبل كل شيء ، و هذه العرفية مظنون فيها أن تكون كاملة مما يصيّر العلامة عرفية مطلقا و قد يعتريها التراكب فتستوحي قيمتها الإخبارية مما ينبثق من ذاتها فتكون دلالتها عندئذ عرفية و طبيعية بضرب من التضافر النّسقي[2].

والعلامة تفصح عن وجودها بمجرد ارتباط " الشكل الحسي " بمبدأ " المواضعة " و هذه المواضعة نفسها ، فممكنة التحقق مع كل قناة حسية إن الشرط فيها قيام الاصطلاح حولها ،و لئن بدابيّنا كيف يمكن لأحد أن يواضع غيره على جملة من الأصوات إذا فاه بها دلت على معنى يحددانه سلفا [3] .

القيمة اللغوية :

إن اللغة في نظر دوسوسير لا يمكن أن تكون إلا نظاما من القيم المجردة ، و تكمن قيمة الكلمة في خاصيتها التي تمكنها من تمثيل فكرة معينة. إن قيمة الكلمة ليست ثابتة ما دام يمكن تبديلها بتصور معين أي بدلالة أو بأخرى ، و لا يتحدد مضمون الكلمة تماما إلا بتواجد كينونات أخرى خارج عنها و لكونها جزء من نظام ، فإنها لا تتمتع بدلالة فحسب

(1) : عبد السلام المسدي ، اللسانيات و أسسها المعرفية ، ص : 61 – 62 .

(2) : المرجع نفسه ، ص : 64 .

(3) : نفسه ، ص : 32 .

بل بقيمة خاصة أيضا، و هناك تمييز بين تسمية التصور و القيمة التي يتمتع بها هذا الاسم (أو تلك الدلالة) في اللغة حيث تربط التسمية تصورا واحدا بصورة سمعية فريدة، و تتحد قيمة التسمية بعلاقاتها ضمن كافة مفردات اللغة [1].

إن قيمة العلامة اللغوية تؤدي دورا محوريا في نظرية دوسوسير اللغوية فهو يؤكد فكرة عن النظام ، و يجعل عيوب منهج النحاة الجدد أكثر وضوحا و لا تستوي القيمة و دلالة العلامة اللغوية ، إنها مشروطة من الناحية اللغوية الداخلية و تشمل الحد بين كل العلامات اللغوية الأخرى في النظام ذاته ، و هكذا فإن قيمة الجمع مثلا تتوقف على ما إذا كان يوجد في ذلك النظام اللغوي مفرد أيضا أو مفرد و مثنى أو حتى أعداد أخرى[2].

5- النظام اللغوي و النشاط اللغوي :

إن موضوع علم اللغة لا يمكن أن يكون بوصفها نظاما للعلامات فحسب لأن نظام العلامات لا يستوفي جوهر اللغة تماما : " من المؤكد أن المرء يجب أن يكشف عن نظام اللغة و بنيتها ، بل يستطيع بالكاد أن يقول أن نظام اللغة و بنيتها يشتملان على كل الظواهر اللغوية " .

إن موضوع علم اللغة أعقد ، و يشمل أيضا الحتمية الاجتماعية و وظيفة نظام العلامات "اللغة" فموضوع علم اللغـــــة تم توسيعه من النظـــام اللغوي إلى سيـــاقة التواصلي و التفاعلي[3].

إن العلاقة بين النظام و النشاط (مع أولية النشاط) تنتج عن حقيقة أن ما يمكن للنظام اللغوي أن ينجز به وظيـــــفته التواصلية يجب أن تكون له خواص محددة جدا، يجب أن

---

(1) : أحمد مومن ، اللسانيات النشأة و التطور ، ص : 129 .

(2) : بريجيته بارتشت ، مرجع سابق ، ص : 105 .

(3) : جرهارد هلبش ، تطور علم اللغة منذ 1970 م ، ترجمة : سعيد حسن بحيري ، زهراء الشرق – القاهرة – مصر – ط 1 – 2007 ، ص : 56 .

يكون نظاما، يغزو مضامين الوعي و إشارات مادية على نحو منتظم بعضها إلى بعض.

إن الجوانب الثلاثة للغة: النشاط اللغوي و النظام اللغوي و المادة اللغوية لا يقدم في المعرفة المباشرة إلا النشاط اللغوي (في عمليات التحدث و الفهم).

و من هذه الناحية يعد النظام اللغوي و المادة اللغوية جانبين مختلفين فقط للنشاط اللغوي الموجود في المعرفة (الخبرة) بيد أن النشاط اللغوي غير ممكن خارج النظـام اللغوي و بدونه، و لكن لكي تعرف خواص ذلك النظام لا غنى عن التجريد في تقدم المعرفة من الوصف البسيط لحقائق يمكن ملاحظتها بشكل مباشر إلى مبادئ تنظيم قابعة بصورة أعمق ، لم يعد من الممكن ملاحظتها بشكل مباشر[1].

(1) : المرجع السابق ، ص : 64 .

ب) اللغة نظام وظيفي:

1 / مفهوم الوظيفة:

لم يعرف مصطلح " وظيفة " بدقة في النصوص الصادرة عن حلقة براغ ، وإنما استعمل بمعنى ضمني ، و لكن عند تعريف اللغة على أنها " نسق من وسائل التعبير المناسبة لهدف ما " يمكننا تعريف الوظيفة بكونها المهمة الموكولة إلى عنصر لساني بنوي (طبقة ، آلية) للوصول إلى هدف في إطار التواصل البشري [1] .

لقد عرفت حلقة براغ ايضا باسم " علم اللغة الوظيفي " و هو اسم لقبت المجموعة نفسها به للإشارة إلى موقفهم المميز من موضوع علم اللغة و مهامه ، حيث لا يفهم أعضاء هذه المجموعة الوظيفة بالمعنى الرياضي للعلاقة بين الدوال " الكيانات Funktiven – على نحو ما استعمل ل . هيلمسلف هذا المفهوم – بل بالمعنى اللغوي العادي :

" له وظيفة / له مهمة " ، فاللغة بالنسبة لأصحاب هذا الإتجاه وسيلة إفهام ، و يضم ذلك وسيلة الإفهام و الهدف .

لقد درس كارل بولر أقسام الوظائف " العرض – التعبير – الاستدعاء" و استنبط ياكبسون وموكارو فسكي من وظيفة التعبير وظيفة رابعة هي الوظيفة الشعرية (الجمالية)[2].

2/ تروبتسكوي و الفونولوجيا :

لقد برع العالم اللساني تروبتسكوي في ميدان الصوتيات الوظيفية أو الفونولوجيا و كانت له فيها إسهامات قيمة ، منها مؤلفه الشهير : مبادئ الفولوجيا (1939) الذي فرغ من تأليفه في آخر حياته .

---

(1) : ماري آن بافو ، النظريات اللسانية الكبرى ، ص : 202 .

(2) : بريجيته بارتشت ، مرجع سابق ، ص : 118 .

يحتوي هذا المؤلف على مبـــــادئ الفونولوجيـــا، و منـــــاهج تحليل السمات القطعية والفوقطعية، و دراسات حول الفونولوجيا الإحصائية، و الفونولوجيا التاريخية .

لقد أطلق تروبتسكوي على البحث الذي يدرس العلاقات القائمة بين الفونولوجيا و النحو و الصرف اسم المورفو- فونولوجيا – و اعتنى بتطوير مفهوم الفونيم الذي سبق وأن تطرق إليه بعض الباحثين حيث أضفى عليه صبغة علمية و عملية في آن واحد ، و قد عرفه في عدة مواضيع من الكتاب بقوله : " إن الفونيم هو أولا و قبل كل شيء مفهوم وظيفي " و هو كذلك " الوحدة الفونولوجية التي لا تقبل التجزئة إلى وحدات فونولوجية أخرى أصغر منها في لغة معينة "[1].

إن تروبتسكوي يرى أن " الفونولوجيا " هي علم الفونيمات ، و هي تقابل علم الأصوات بوصفه علما لدراسة الأصوات حيث يمكن أن يبحث الصوت وفق وجهات نظر ثلاث : من وجهة نظر المتكلم (الجانب الفسيولوجي النطق) ، و من وجهة نظر السامع (الجانب السمعي) ، و من وجهة وظيفته[2] .

ويمكن عرض أهم أفكار تروبستكوي النظرية حول الفونيم و النظام الفونيمي في مجموعة من الفرضيات:

1 – تشترك الواقائع الصوتية في الوظائف الثلاثة الأساسية للغة : العرض – التعبير – الإستدعاء ، يقول تروبتسكوي : " حين نسمع شخصا ما يقرأ فإننا نسمع من يتكلم وفي أي نغمة يتكلم و ماذا يقول " .

و بالنسبة للفونولوجيا بوصفها جزءا من النظام اللغوي تعد وظيفة العرض هي الوظيفة الحاسمة ، و يجب أيضا حسب تروبتسكوي أن ينص على الوظيفتين الأخريين في النظام اللغوي.

(1) : أحمد مومن ، مرجع سابق الذكر ، ص : 142 .

(2) : بريجيته بارتشت ، مرجع سابق ، ص : 130 .

فقد عالج التعبير و الإثارة أو ما يسمى الأسلوبية الصوتية فوظيفة التعبير: تدل على خصائص صوتية تشير مثلا إلى فروق إقليمية و عمريه و جنسية و وظيفة "الاستدعاء" الإثارة تثير عواطف لدى السامع.

2 – الوظائف المميزة للصوت التي تشكل أيضا الأساس لأداء وظيفة العرض في اللغة هي: فارقة (فارقة للمعنى). محددة (معنية للحد واضحة إشارات الحدود)، مميزة للقمة (مشكلة للقمة واضعة نغمات رئيسية)[1].

و بالنسبة لوظيفة العرض تعد الوظيفة الصوتية الفارغة هي الحاسمة و يجب أن تؤدى .

3 – تتركب الأصوات من خواص سمعية – نطقية – بعضها " وثيق الصلة " يفي بالوظيفة الفارقة.

4 – يشير تروبتسكوي إلى مفهوم جديد هو "البديل"، ويفهم تحت بدائل فونيمية، تغيرات منظمة داخل فونيم ما، و تتبع البدائل الفونيمية أيضا النظام اللغوي الذي تستقر فيه الفونيمات و البدائل أيضا، و في المقابل تتحقق بشكل مادي الأصوات الملحقة دائما[2].

5 – إن الفونيمات يمكن أن تعرض في مخططات متناسقة، و النظام الفوينمي للغة ما هو مجموعة تلك المخططات أي أنه نظام مرتب ، و ليس مجرد جمع لفونيمات مفردة ، أما مبدأ النظام فهو تقابلات الفونيمات حسب عدد السمات الفونولوجية المشتركة و كيفها.

6 – أهم نمط التقابلات الأحادية البعد الدالة على السلب ، سمة واحدة تثبت في فونيمين فقط ، و هي إما موجودة أو غائبة و ألحق بهذا النمط مصطلح الخاص : التلازم ، و سمة

---

(1) : المرجع السابق ، ص : 131 – 132 .

(2) : نفسه ، ص : 133 .

التلازم مثل كل خاصية مستخدمة في الفونولوجيا ذات أصل صوتي ، غير أنها يجب أن تكون وثيقة الصلة فونولوجيا [1] .

7 – يمكن أن تلغى تقابلات فارقة معينة و تحيد و لا يرى ذلك على التقبلات الأحادية البعد ، لأن إلغاء تناقض في سمة ما / لا يكون ممكنا إلا مع فونيمين مشتركين ، نتيجة التحييد ليس فونيما ، بل عمل لم ينجز .

8 – كان العمل بالتلازمـــات قد أرسي إلى حد أنه صـار نقله إلى المورفولوجيا ممكنا. و لم يكن تحقيق ذلك في إمكان تروبيسكوي، غير أنه في تحليلات ياكبسون المورفولوجية تقوم التلازمات بدور جوهري .

وقد خطط تروبتسكوي للموفونولوجيا في نقطة التقاطع بين الفونولوجيا و المورفولوجيا.

3/ رومان ياكبسون و نظرية وظائف اللغة :

لقد قدم رومان ياكبسون نشاطات علمية متنوعة للغاية ، تعكس اهتمامات مدرسة مدرسة براغ بوجه خاص ، و قد نقل هذه النشاطات و الأفكار إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، موليا إهتماما كبيرا بمفهوم الوظيفية، و معتنيا كثيـرا بأعمال " مثيرونس " و " تروبتسكوي " و " فاشاك " " و ترنكا " ، و قد تأثر العديد من اللسانيين الأمريكيين بياكبسون .

لقد أبدع ياكبسون في عدة مجالات منها الفونولوجيا، الأنثرروبولوجيا، الأسلوبية، علم النفس اللغوي، علم الدلالة، نظرية الإعلام، نظرية الأدب و عروض الأشعار الروسية و التشيكية .

وقد اشتهر " ياكبسون " بنظريته الفونولوجية التي تنص على وجود نظـــام سيكولوجي كلي، منتظم و بسيـــط تشترك فيه جميع اللغات البشرية و تؤكد على أن الاختلافـــات

(1) : المرجع السابق ، ص : 133 – 134 – 135.

الموجودة بين مختلف الأصوات الكلامية، ما هي إلا عبارة عن اختلاف سطحية لنظام تحتي ثابت [1].

*** المبادئ العامة عند رومان جاكوبسون :**

1 – الانتقال من الجزء إلى الكل :

استوحى جاكبسون مبدأ الانتقال بين الجزء و الكل من أعمال " هوسرل " الذي عالج في القسم الثالث من دراسته " الأبحاث المنطقية " القوانين المكونة لكل وحدة متكاملة ، و قد اختار جاكبسون من هذه الدراسة الشعار الذي يقول : " ما يوحد حقيقة كل شيء هو علاقات التأسيس " فحقيقة العلاقات بين الأجزاء و نوعها ما يحدد الكل ويعطيه شكلا مميزا و خصائص مميزة .

2 – الاستناد إلى الماضي لاحتضان الحاضر :

يستند جاكبسون إلى الماضي ليحتضن الحاضر في كل امتداد ، فهو عندما ينظر إلى الماضي يستخرج منه بعض العناصر ليحللها و يحددها بطريقة تمكنه من أن يجد في تحليل العنصر الأول الفسحة اللازمة لاختبار العنصر التالي وهكذا يكون الماضي نقطة انطلاق لأشياء جديدة ، فجاكوبسون يستند إلى مبادئ دوسوسير لا ليتبناها كما هي ، بل ليبني ، انطلاقا منها ، مبادئ تتمتع بشخصيتها المتفردة ودقتها و ثباتها ، فهو ينطلق مثلا من نظرية التواصل عند دوسوسير ليطور فيها و يخرجها بشكل مميز و إطار جديد[2] .

3 – العلاقة بين الشكل و المضمون :

إن الشعرية الجديدة تهتم بالشكل و العلاقات، و قد تنبه جاكويسون خلال دراسته الشعر إلى أهمية العلاقة بين الدال و المدلول أو بين الإشارة و المعنى.

---

(1) : أحمد مومن ، مرجع سابق الذكر ، ص : 147 .

(2) : فاطمة الطمال بركة ، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون (دراسة و نصوص)، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت - لبنان ، ط 1 ، 1413 هـ - 1993 م ، ص : 27 – 28 .

ويعتبر جاكوبسون أن تحليل الكلام بمعناه السوسوري يقوم على الصفة الدلالية للغة، وذلك يعني أن اللغة تقدم لنا وسائل تحديد عناصرها الدلالية (كالكلمات مثلا)، و التحديد يعني وضع معادلة بين مضمون تعبيرين ألسنيين و بذلك نستطيع أن نرتب الانبناءات (موضوع – عبارة – كلمة) في أصناف معادلة تبعا لتوزيعها النحوي، فاللغة ليست سوى إعادة صياغة المفهوم الدلالي للكلمات، ويشدد جاكوبسون على فكرة أنه ليس باستطاعتنا أن نحلل اللغة أو النظام النحوي دون الرجوع إلى دلالة الأشكال (المضمون).

4 – الفونولوجيا :

يعترف جاكوبسون بأن لفظة " فونولوجيا " تطلق على مجموعة الوظائف اللغوية التي يؤديها الصوت ، و يميزها عن الفونيتيك التي تهدف إلى جمع المعلومات حول المادة الصوتية الخام من حيث خصائصها الفيزيائية و الفيزيولوجية .

إنه لا يكتفي بالتكلم عن طبيعة الأصوات (الفونيمات) التي تتكون منها اللغة ، بل يذهب إلى اعتماد مستويات تراتبية من التعبير الصوتي يكون الفونيم فيها أحد مكوناتها الأساسية، فقد أدخل في هذا المجال مفهوم "السمة التمايزية" التي تقع خلف الفونيم و في أساس بنيته ، كما وضع نظرية الكليات الفونولوجية التي أدت إلى تكوين ما يسميه علماء اللغة بالنظرية الجاكوبسونية [1]

5 – ثنائية التفكير الألسني :

التفكير الألسني عند جاكبسون يقوم على دراسة العلاقات التي تقع أساسا بين الوحدات اللغوية على اختلاف طبيعتها و أبعادها .

(1) : المرجع السابق ، ص : 29 – 30 – 31.

لقد أعمل جاكوبسون تفكيره الثنائي في دراسة الأصوات على الأخص ، و أسس بذلك تيارا من بعده و انتشر في التحليل العام لأصوات اللغة كما أنه - جاكبيسون – يرى هيمنة العلاقة الثنائية في مختلف الوحدات اللغوية أضف إلى ذلك أن التفكير الثنائي عند جاكوبسون لا يقف عند حد الاشارة بعنصريها الدال و المدلول ، بل يتعدى ذلك إلى العمل المحوري للغة ، و خاصة في ما يتعلق بقطبي الاستعارة و المجاز المرسل [1] .

- نظريات وظائف اللغة عند جاكبسون : (نظرية التواصل) :

إن الفكرة الأساسية لجاكوبسون تعيد المواقف المعاشة إلى سياق واحد فالمواقف الاجتماعية توصف بالنسبة إلى " موقف عام " ، و هذا الموقف يوضحه جاكبسون في رسم بياني هو عبارة عن خطاطة للتواصل و هو يعتمد على عوامل متعددة لا تنفصل في التواصل الكلامي ، و هذا الرسم البياني يأخذ الشكل التالي [2] .

سياق

مرسل رسالة مرسل إليه

إتصال

نظام رموز

إن هاته العناصر الست تمثل نظرية وظائف اللغة الست ، حيث استلهمها من نظرية الاتصال ، التي مفادها أن عملية الاتصال تتطلب ست عناصر أساسية و هي : المرسل والمرسل إليه (المتلقي)، الرسالة، قناة الاتصال و شفرة الاتصال و المرجع [3] .

فالمرسل (المتكلم أو المرمز) هو مصدر الرسالة، أي المكان الذي تنعقد فيه خيوط

(1) : المرجع السابق ، ص : 33 .

(2) : نفسه ، ص : 64 .

(3) : أحمد مومن ، مرجع سابق الذكر ، ص : 148 .

الرسالة و تكتمل، فضلا عن أن مصطلح " مرسل " لا يطلق على الأشخاص وحدهم بل يطلق على الأجهزة أيضا.

أما المرسل إليه أو المستقبل ، فهو الذي يقوم بفك الرموز و فهم النص و الرسالة تركز على المخزون اللغوي الذي يختار منه المرسل ما يحتاج إليه للتعبير ، ثم ينظمه في مقولة يبثها إلى المرسل إليه ، و لكنها لا يمكن أن تفهم تنفذ إلا ضمن سياق نردها إليه (وهو ما تسميه المرجع) و يمكن فهمه قبل المتلقي ، ثم تأخذ الرسالة نظاما مشتركا بين باث و فالك الرموز ، وأخيرا لا بد من وجود قناة اتصال بين المرسل و المرسل إليه لإقامة التواصل [1] .

إن كل عنصر من العناصر الست لخطاطة التواصل يولد وظيفة لغوية مختلفة وهي ست وظائف [2]:

* الوظيفة التعبيرية : (أو وظيفة الإفصاح) :

فالاتصال هنا يهدف إلى توضيح موقف المرسل نفسه إزاء الرسالة اللغوية ، أي تقديم معلومات حول الأحوال الداخلية للمتحدث ، أو استعداداته أو مواقفه .

* وظيفة النزوع (النزوعية) :

كما تسمى أيضا وظيفة النداء : و يكون فيها هدف الاتصال التأثير على المتلقى (المرسل إليه) ، أو بقصد إنتاج تأثيرات ذريعية.

* الوظيفة اللغوية :

فالملفوظ يعبر عن الاتصال الحاصل بين المتكلم و المخاطب و المقصود رسالة تستعمل

(1) : فاطمة الطبال بركة ، مرجع سابق، ص : 65 .

(2) : ماري آن بافو ، جورج إلياس رفاتي : النظريات اللسانية الكبرى ، ص : 203 – 204 .

"أساسا لإقامة تمديد أو قطع الاتصال، و التحقق من كون قناة التواصل تعمل [...] ولإثارة أنتباه المخاطب أو التأكد من أنه لم ينسحب ".

* الوظيفة الميتالغوية : أو الواصفة للغة ، و يكون الهدف من الرسالة توضيح شفرة الاتصال أو شرح المفردات حيث يقدم الملفوظ معلومـــات حول الكيفية التي أنتج بهـــا و حول الشفرة التي تم بموجبها، " ففي كل مرة يرى المرسل و / أو المرسل إليه أنه من الضروري التحقق من كونهما يستعملان الشفرة فعلا ، فإن الخطاب يكون حينئذ متمركز حول الشفرة إذ يقوم بوظيفة مبتالغوية (أو تفسيرية) .

* الوظيفة المرجعية :

أو المعرفية و هنا يكون الهدف من الرسالة توضيح شفرة الاتصال أو شرح بعض المفردات، فالملفوظ يعبر عن العالم و ينجز " رؤية نحو المرجع ".

* الوظيفة الشعرية :

حيث أن الملفوظ منتوج له قيمة في حد ذاته : " فالوظيفة الشعرية " تحقق الجانب الملموس في الدلائل " .

و يوضح جاكوبسون بأن الرسالة لا تنحصر في وظيفة واحدة فحسب ،بل تؤدي عدة وظائف مع هيمنة واحدة منها : إذ هناك تراتبية بين الوظائف في الملفوظات المنتجة .

4/ نظرية مارتيني الفونولوجية :

لقد كان له الفضل في ربط الصوتيات الوظيفية بالصوتيات ، حيث عد الفونولوجيا نوعا من الفونتيك الوظيفية .

حيث يهدف من وراء نظريته إلى تفسير تطور اللغة ، باستعمال مصطلحات بسيطة لا غموض فيها مثل : اللغة – الجملة – الفونيم – و السمة المميزة، واللفظم أي الوحدة الصرفية التي تقابل المرفيم في بعض النظريات الحديثة الأخرى .

إن غرض مارتيني من التحليل الفونولوجي، يمكن من تشخيص العناصر الصوتية وتصنيفها حسب وظيفتها في اللغة، و على هذا ميز بين ثلاث وظائف أساسية :

1 – الوظيفة التمييزية :

أو المضادة التي تمكن السامع من معرفة أن لفظة معنية عوض لفظة أخرى قد نطق بها المتكلم.

2 – الوظيفة الفاصلة : التي تمكن السامع من تحليل القول إلى وجهات متتابعة .

3 – الوظيفة التعبيرية :

التي تعلم السامع عن الحالة العقلية او الفكرية للمتكلم [1] .

إن مارتيني يرى أن مصطلح " وظيفي " يقضي تحلل الملفوظات اللغوية اعتمادا على الكيفية التي تساهم بها في سيرورة التواصل و يأتي اختيار وجهة النظر الوظيفية من الاقتناع بأن كل بحث علمي يتأسس على إيجاد ورود ما ، و أن الورود التواصلي هو الذي يسمح بفهم أفضل لطبيعة اللغة و ديناميتها .

ومعنى الورود التواصلي أن كل موضوع (بنية صورية، وحدة) تكون وظيفته هي تقديم معلومة.

لقد قدم أندريه مارتيني مفهوم التقطيع المزدوج (فونيمات و موفيمات) حيث أن هذا التمفصل – التقطيع – هو سمة مميزة للغة البشرية التي هي مؤسسة على تشفير من طبقتين " فكـــل وحدة من الوحدات النـــاتجة عن التمفصل الأول تتمفصل بدورهـــا إلى وحدات من نمط آخر". أي التقطيع الأول و التقطيع الثاني [2] .

---

(1) : أحمد مومن ، مرجع سابق ، ص : 153 .

(2) : ماري آن بافو ، جورج إلياس سرفاتي ، مرجع سابق ، ص : 222 – 223.

- مبدأ الإقتصاد اللغوي :

يرى اندريه مارتيني أنه لا يمكن حصر معنى الاقتصاد في معنى التغيير بل إن الاقتصاد يشمل كل شيء ، تقليص كل تمييز غير مفيد و إظهار تمييزات جديدة ، و الإبقاء على الوضع الراهن ،فالاقتصاد هو التآلف بين كل القوى المتواجدة .

و يرى مارتيني أن الإنسان يعيش في صراع قائم بين عالمه الداخلي و عـــالمه الخارجي، فالعالم الخارجي في تطور مستمر ، و يتطلب ابتكار مفردات جديدة و الطبيعة أللإنسانية الداخلية ميالة إلى الخمول و الجمود، و استعمال النزر القليل من المفردات الموجودة حولها ، بالإضافة إلى هذا فإن ثمة صراعا بين حاجيات التواصل التي تؤدي إلى تطوير اللغة من جهة و خمول الأعضاء ، و نزوعها إلى الاقتصاد في الجهد الذي تتطلبه عملية التلفظ أو التذكر من جهة أخرى [1].

(1) : المرجع السابق ، ص : 225.

5/ أحمد المتوكل و الوظيفية العربية :

تتدرج نظرية النحو الوظيفي في زمرة النظريات اللسانية الوظيفية التي تختلف عن النظريات اللسانية الأخرى (النظريات غير الوظيفية أو الصورية) كما درج على تسميتها من حيث مجموعة من الافتراضات عن اللسان الطبيعي أهمها : "افتراض الوظيفة" : القائل بأن وظيفة اللغات الطبيعية هي إتاحة التواصل (أو نوع من التواصل) داخل المجتمعات وأن هذه الوظيفة تحدد إلى حد بعيد الخصائص البنيوية (الصرفية ، التركيبية، المعجمية ....) للعبارات اللغوية [1].

يقول أحمد المتوكل : " التوجيه اللساني الذي اصطلحنا على تسميته المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي (المتوكل (2006)) ثلاثة أهداف متوازية متزامنة : الوصف والتفسير ، اللغويات و التأصيل و الإجراء " و استشرافا لإحراز الهدف الأول قيم ببناء نحو وظيفي للغة العربية يرصد ظواهرها في التزامن التي تنامطها و اللغات المنتمية إلى أنماط مغايرة وسعيا في تحقيق الهدف الثاني ، وضعت منهجية علمية لربط البحث اللساني الوظيفي العربي بالتراث اللغوي العربي بلاغته و نحوه و أصول فقهه باعتباره مربعا للاحتجاج و مصدرا للافتراض و الاغتناء.

أما ثالث هذه الأهداف فهو العمل على إدماج البحث اللساني الوظيفي في التنمية الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية بتسخير آلياته و استثمار نتائجه في المجالات الحيوية كالتواصل بمختلف أنماطه و تعليم اللغات و الاضطرابات النفسية – اللغوية [2] .

---

(1) : أحمد المتوكل ، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية دار الأمان – الرباط – المغرب ، منشورات الاختلاف – العاصمة – الجزائر ، منشورات ضفاف ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1434 هـ - 2013 م ، ص : 21 .

(2) : أحمد المتوكل ، الخطاب الموسط ، منشورات الاختلاف – العاصمة – الجزائر ، دار الأهان – الرباط – المغرب ، ط : 1432 هـ - 2011 م ، ص : 09 .

.

أ- المبادئ المنهجية :

يمكن التعرض لأهم مرتكزات النحو الوظيفي المنهجية من خلال محاور أربعة هي : (أ) : وظيفة اللغة ، (ب) : البنية والوظيفة ، (ج) : موضوع الوصف اللغوي (د): ضوابط الوصف اللغوي .

1 – وظيفة اللغة :

أول ما يميز الأنحاء الوظيفية عن غيرها من الأنحاء أنها تفترض، بالنسبة لوظيفة اللغات الطبيعية، الافتراضيين التاليين:

(أ) : إذا كانت اللغة بنية أو نسقا من الخصائص الصورية (صوتية، صرفية تركيبية ومعجمية ..) فإن من مقوماتها كذلك أنها تؤدي وظيفة معينة داخل المجتمعات البشرية فاللغة إذن ، بنية وأداة في ذات الوقت.

(ب) : رغم أنه من الممكن أن تؤدي اللغة وظائف مختلفة (الوظائف الست التي تحدث عنها جاكبسون 1963 و الوظائف الثلاث الواردة عند هاليدي 1970 مثلا) فإن وظيفتها الأساسية هي إتاحة التواصل بين مستعمليها ، و تمكن أساسية هذه الوظيفة بالنظر إلى باقي ما يمكن أن تؤديه اللغة من وظائف[1] .

2) البنية و الوظيفة :

يفترض النحو الوظيفي، كباقي النظريات الوظيفية ، بالنسبة للبنية و الوظيفة أنهما متعالقان بحيث لا يمكن الفصل بينهما و أن البنية تابعة للوظيفة.

3) موضوع الوصف اللغوي :

يمكن القول أن جميع النظريات اللسانية تكاد تجمع على أن موضوع الوصف اللغوي هو " قدرة " المتكلم – المستمع – إلا أن النظريات تختلف من حيث القدرة، فتشومسكي

(1) : أحمد المتوكل ، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، ص : 22 .

يرى القدرة قدرتان " قدرة نحوية " و " قدرة تداولية " أما الوظيفيون فيذهبون إلى أن القدرة اللغوية قدرة واحدة تجمع بين النحو و التداول و يطلقون عليها مصطلح " القدرة التواصلية " .إن هذا المصطلح يعرف في نظرية النحو الوظيفي على وجه التحديد ، أنها – القدرة التواصلية – ما يمكن " مستعملي اللغة الطبيعية " من التواصل فيما بينهم بواسطة العبارات اللغوية أي ما يمكنهم من التفاهم والتأثير في مدخرهم المعلوماتي والتأثير حتى في سلوكهم الفعلي عن طريق اللغة. و تتكون القدرة التواصلية المتوافرة لدى مستعمل اللغة الطبيـعية من خمس ملكـات على الأقل : الملكة اللغويـة، الملكة المنطقية، الملكة المعرفية، الملكة الإدراكية والملكة الاجتماعية.

فالملكة اللغوية : تمكن مستعمل اللغة الطبيعية من أن ينتج ويؤول إنتاجا وتأويلا صحيحين عبارات لغوية ذات بنيات متنوعة جدا ومعقدة جدا في عدد كبير من المواقف التواصلية المختلفة . وبفضل الملكة المنطقية يستطيع مستعمل اللغة الطبيعية، على اعتباره مزودا بمعارف معينة، أن يشتق معارف أخرى بواسطة قواعد استدلال تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي والمنطق الاحتمالي.

وتمكن الملكة المعرفية مستعمل اللغة الطبيعية من تكوين رصيد من المعارف المنظمة، وبفضلها يستطيع أن يشتق معارف من العبارات اللغوية كما يستطيع أن يختزن هذه المعارف في الشكل المطلوب وأن يستحضرها لاستعمالها في تأويل العبارات اللغوية.

ويتمكن مستعمل اللغة الطبيعية، بواسطة الملكة الإدراكية من أن يدرك محيطه وأن يشتق من هذا الإدراك معارف يستطيع استخدامها في إنتاج العبارات اللغوية وتأويلها.

أما الملكة الاجتماعية فيها يتواصل مستعمل اللغة الطبيعية لمعرفة وضبط الكيفية التي ينبغي أن يخاطب بها مخاطبا معينا في موقف تواصلي معين قصد تحقيق أهداف تواصلية معينة [1].

(1) : المرجع السابق ، ص : 24 - 25.

4) ضوابط الوصف اللغوي :

مطامع نظرية النحو الوظيفي تتلخص في ثلاثة مطامع : الكفاية التداولية و الكفاية النفسية و الكفاية النمطية ، و تشكل هذه المطامح ، في الوقت ذاته ضوابط للنظرية تتم على ضوئها المفاضلة بين مختلف النماذج التي يمكن أن تفرزها .

النظرية الوظيفية و اللغة العربية :

سار النحو اللساني الوظيفي بالمغرب في اتجاهين أساسيين اثنين : كان الهدف في المرحلة الأولى بناء أنحاء وظيفية أو أقساط من أنحاء وظيفية للغات المتواجدة بالمغرب خاصة منها اللغة العربية. بعد ذلك و موازاة مع ذلك ، وسع حقل البحث ليشمل أيضا التواصل بكل أنماطه و مجالاته و قنواته اللغوية منها و غير اللغوية انطلاقا من مبدأ أن النظرية الوظيفية المثلى يجب أن تسعى في إحراز الكفاءتين اللغوية والإجرائية معا ، أن تستخدم لا في وصف اللغات من حيث بنيتها فحسب بل كذلك من حيث استعمالها في قطاعات أخرى [1] .

ب) نحو اللغة العربية النواة :

اتخذ النموذج الأول ما اصطلح على تسميته "النموذج النواة" إطارا لدراسة مجموعة من ظواهر اللغـــة العربية يمكن ردها إلى ثلاثة مجـالات كبرى هي: المعجم و الاشتقاق و الوظائف (الدلالية و التداولية) و بنية الجمل و أنماطها [2].

المعجم و الاشتقاق :

أقام المتوكل البحث سنة (1988) على التمييز بين مفردات أصول ترصد في الشِّقِ

(1) : أحمد المتوكل المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي : الأصول و الامتداد ، دار الأمان – الرباط – المغرب – ط1 ، 1427 هـ - 2006 م ، ص: 87

(2) : المرجع نفسه ، ص : 88 .

الأول من الخزينة (المسمى " معجما ") في شكل مداخل معجمية و مفردات فروع (أو مشتقة) تنتج عن إجراء قواعد تكوين المحمولات التي تتخذ دخلا لها المفردات الأصول.

افترض ثمة أن المفردات الأصول هي المحمولات الأفعال الثلاثية المصوغة على أحد الوزنين " فَعَلَ " و" فَعِلَ " على هذا الأساس ، عُدت جميع المفردات الأخرى (أفعـــالا و أسماء " مصادر " و صفات) مفردات مشتقة .

و بالنسبة لقواعد تكوين المحمولات الفعلية فهي تعد قواعد منتجة بحيث تقصى من مجال هذه القواعد المفردات المشتقة المحصورة العدد ، فلا يمكن مثلا ، أن يُعَدَّ الوزن " فاعل" وزنا منتجا في اشتقاق الأفعال الجعلية أو " العّلية " إذ إن الأفعال الواردة على هذا الوزن و بهذا المعنى أفعال محدودة كالفعل " بَاعَدَ " مثلا .

كما يتخذ تكوين المفردات شكل سلاسل اشتقاقية حيث من الممكن أن تصبح مفردة مشتقة مصدر اشتقاق لمفردات أخرى .

من أمثلة ذلك الفعل " كَاتَبَ " المشتق من الفعل " كَتَبَ " يصبح بدوره مصدر اشتقاق للفعل " تَكَاتَبَ "، وفقا للسلسلة الاشتقاقية التالية [1].

فَعَلَ ⟸ فَاعَلَ ⟸ تَفَاعَلَ

كما تصنف قواعد التكوين ، بالنظر إلى التأثير الذي تحدثه في مقولة المفردة الأصل أو في محلاتيها الكمية و الكيفية .

و يقصد بالمحلاتية الموضوعات التي من المتطلب أن تواكب مفردة ما و المحلاتية مستويان : " محلاتية كمية " و " محلاتية كيفية " .

يراد بالمحلاتية الكمية عدد الموضوعات التي من المفروض أن توارد المفردة. أما الكيفية فيقصد بها السمـــات الدلالية (الوظائف الدلالية و سمات الانتقاء)، التي تتطلبها المفردة

(1) : المرجع السابق ، ص : 88 – 89 .

في الموضوعات التي تواكبها ، مثال ذلك أن الفعل " شرب " يستلزم في موضوعيه أن يكون أولهما : " حيا " حاملا للوظيفة الدلالية " المنفذ " و أن يكون ثانيهما " سائلا " حاملا للوظيفة الدلالية " المتقبل " .

و من القواعد الموسّعة للمحلاتية قاعدة تكوين الأفعال الجعلية أما القواعد المقلصة للمحلاتية قاعدة البناء للمجهول .

إنه و في إطار النموذج النواة ، تم التمييز بين ما هو أصل من المفردات و بين ما هو فرع في اللغة العربية كما تم استكشاف نسق الاشتقاق في هذه اللغة و صوغ سواء منها الموسعة للمحلاتية كقواعد تكوين الأفعال الجعلية و أفعال الاعتقاد ، أو المقلصة كقواعد تكوين الأفعال المبنية للمجهول و أفعال المطاوعة و أفعال الانعكاس و أفعال الانصهار.

الوظائف :

تتوزع الوظائف في نظرية النحو الوظيفي على ثلاثة مستويات مستقلة حيث يميز بين الوظائف الدلالية (منفذ ، متقبل ، مستفيد ، أداة ...) و وظائف تركيبية (فاعل، مفعول) و وظائف تداولية (محور ، بؤرة / مبتدأ ، ذيل) .

فقد رصد أحمد المتوكل في هاته الدراسة الخصائص الرتبية في علاقتها بالوظائف .

فالإعراب في نظره إعرابان : إعراب بنيوي و إعراب وظيفي .

أما تحديد رتبة المكونات فهو الذي يحدث التفاعل بين أنواع الوظـــائف الثلاثة: الدلالية، التداولية و التركيبية[1] .

بنية الجملة و أنماطها :

من أهم القضايا التي جاء بها المتوكل في تنميــط الجمل العربية في إطــار النموذج النواة، قضيتان كبيرتان: الجمل الرابطية و الجمل المركبة .

(1) : المرجع السابق ، ص : 89 – 90 – 91 – 99.

* الجمل الرّابطية :

يقصد بالجملة الرابطية، الجملة ذات المحمول غير الفعلي (صفة، اسم ، ظرف) المتضمنة لفعل رابط (كالفعل : " كان " مثلا)[1] .

* الجمل المركبة :

كان قوام الجملة في النموذج النواة حملا بسيطا يتضمن محمولا (فعلا أو اسما أو صفة أو ظرفا) و عددا معينا من الموضوعات و اللواحق كما تبين ذلك في الترسيمة العامة التالية :

جملة = [محمول (س^{1}) ..... (س^{0}) (ص^{1}) ..... ص^{0})]

حمل

و على هذا الأساس وضع المتوكل تعريف الجملة المركبة على أنها جملة تتضمن أكثر من حمل واحد [2].

* اللغة العربية و نظرية النحو الوظيفي :

ما كانت العلاقة بين اللغة العربية و نظرية النحو الوظيفي مجرد تطبيق إطار نظري معين في دراسة متن لغوي معين ، بل كانت علاقة إفادة متبادلة .فبفضل اعتماد نظرية النحو الوظيفي تسنى وضع نحو وظيفي متكامل للغة العربية أنار جوانب جديدة عدة من هذه اللغة لم يكن من المتاح الكشف عنها باعتماد النحو العربي القديم و لا باعتماد الأنحاء الصورية الحديثة البنيوية منها و التوليدية – التحويلية.

(1) : المرجع السابق ، ص : 101 .

(2) : نفسه ، ص : 103 – 104.

في المقابل ، جاوزت الدراسات الوظيفية للغة العربية مستوى التطبيق المحض إلى الإسهام في النظير الوظيفي العام كانت له بصماته الواضحة في الدفع بالنظرية نحو إحراز الكفاية اللغوية و الكفاية الإجرائية على السواء[1] .

(1) : نفسه ، ص : 142 – 143 .

ج/ الدراسات اللسانية التوليدية و التحويلية:

1) تشومسكي و اللسانيات التوليدية و التحويلية :

إن التغيير الجذري في اتجاه اللسانيات الوصفية قد حدث في عام 1957 م عندما أصدر تشومسكي مؤلفه الشهير " البنى التركيبية " معلنا بذلك عن منهج جديد لدراسة اللغة ، أطلق عليه اسم القواعد التوليدية التحويلية ، و قد أحدث هذا التيار العقلاني ثورة في عالم اللسانيات لقد استفادت هذه القواعد من النتائج التي توصل إليها النحو التقليدي والنحو الوصفي ، فأخذت نقاط القوة منها ، فقد أعلن تشومسكي أن النحو التقليدي يعطي تصورا أكثر عمقا و ملاءمة عن طبيعة اللغة [1] .

2) مفهوم اللغة عند تشومسكي :

عرّف تشومسكي اللغة في كتابه " البنى التركيبية " قائلا : " من الآن فصاعدا سأعدّ اللغة مجوعة متناهية أو غير متناهية من الجمل ، كل جملة طولها محدود و مؤلفة من مجموعة متناهية من العناصر ، وكل اللغات الطبيعية في شكليها المنطوق والمكتوب هي لغات بهذا المعنى وذلك لأن كل لغة تحتوي على عدد متناه من الفونيمات (أو الحروف) و مع هذا ، فإن عدد الجمل غير متناه " [2] .

مفهوم التحويل :

تحتل التحويلات المكانة الرئيسية و الثورية في القواعد التشومسكية و تكمن مهمتها في تحويل البنى العميقة إلى متوسطة و سطحية ، و بعبارة أخرى فإنها تربط البنى العميقة بالبنى السطحية ، و لكن إذا ما اقتضى الأمر تطبيق أكثر من عملية تحويلية ، فإن البنى المتوسطة يقوم بتوليدها عدد من التحويلات حتى يتم تكوين البنية السطحية[3] .

---

(1) : أحمد مومن ، مرجع سابق ، ص : 202 – 203 .

(2) : المرجع نفسه ، ص : 209 .

(3) : نفسه ، ص : 207 .

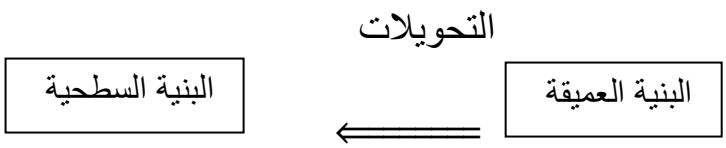

المعنى الشكل المستعمل في التواصل

- مفهوم التوليد :

يدل مصطلح التوليد على الجانب الإبداعي في اللغة : أي القدرة التي يمتلكها كل إنسان لتكوين و فهم عدد لا متناه من الجمل في لغته الأم ، بما فيها الجمل التي لم يسمعها من قبل ، و كل هذا يصدر عن الإنسان بطريقة طبيعية دون شعور منه بتطبيق قواعد نحوية معيّنة ، و قد أولى تشومسكي هذه القدرة الإبداعية ، اهتماما كبيرا و أكدّ على أن النظرية النحوية لا بد أن تعكس قدرة جميع المتكلمين باللغة ، و النحو التوليدي – في نظره – لابد " أن يولد كل الجمل النحوية في اللغة " أي أننا باتباع قواعد نحوية يمكننا تكوين كل الجمل الممكنة في اللغة.

الكفاءة اللغوية و الأداء اللغوي :

إن مفهومي " الكفاءة " و " الأداء " ، اللذين ظهرا – لأول مرة – بطريقة جلية في مؤلف تشومسكي " مظاهر النظرية التركيبية " يرتبطان بمفهومي " اللغة " و "الكلام " اللّذين استحدثهما دوسوسير و ذهب إلى التمييز بين " الكفاءة " التي تتمثل في المعرفة اللغوية الباطنية للفرد ، أي مجموعة القواعد التي تعلمها ، و " الأداء " و هو الاستعمال الفعلي للغة في المواقف الحقيقية [1] .

و يبدأ تشومسكي بتوضيح هذه الثنائية بالتعريفات ال متكلم – سامع مثاليان ، يحيان في جماعة لغوية متجانسة تماما ، و يعرفان لغتهما معرفة ممتازة ، و عند استخدام معرفتهما

(1) : المرجع السابق ، ص : 208، 210 .

اللغوية في الكلام الفعلي لا يتأثران بتلك القيود المنفكة الصلة لغويا، مثل: ذاكرة محدودة – شرود و اضطراب – انحراف في الانتباه و الاهتمام – أخطاء (عارضة أو نمطية).

و عند بحث الاستعمال اللغوي الفعلي يجب أن يُنْتَبَهَ إلى التأثير المتبادل لعدد من العوامل، لا تمثل الكفاءة الأساسية للمتكلم – السامع، إلاّ واحدًا منها.

و بهذه الطريقة وضع حدًا بين معرفة المتكلم – السامع للغة ما، عن الاستعمال الفعلي للغة في مواقف محددة الأداء[1].

- البنية السطحية و البنية العميقة :

إن أول من استعمل مصطلحي " البنية السطحية " و " البنية العميقة " هو تشارلو هوكيت في مؤلفه الشهير " محاضرة في اللسانيات الحديثة " و لكن هذين المصطلحين لم يظهرا عند تشومسكي بطريقة جليّة إلاّ في " مظاهر النظرية التركيبية " (1964) وملخص القول أن لكل جملة بنيتين : بنية عميقة و بنية سطحية .

أما البنية العميقة : فهي شكل تجريدي داخلي يعكس العمليات الفكرية و يمثل التفسير الدلالي الذي تشتق منه البنية السطحية من خلال سلسلة من الإجراءات التحويلية.

و أما البنية السطحية فتمثل الجملة كما هي مستعملة في عملية التواصل أي في شكلها الفيزيائي بوصفها مجموعة من الأصوات أو الرموز و حسب التحويليين فإن هاتين الجملتين " كَتَبَ أَحْمَدُ الرِّسَالَةَ " و " كُتِبَتْ الرِّسَالَةُ مِن قِبَل أَحْمَدَ " لا يختلفان إلاّ مِن النَّاحية التركيبية : أي إن لم نقل متطابقتان – على مستوى البنية العميقة[2] .

(1) : بريجيته بارتشت ، مناهج علم اللغة ، ص : 287 .

(2) : أحمد مؤمن ، اللسانيات النشأة و التطور ، ص : 212 .

4 - إجراءات و نماذج التحليل في النظرية التوليدية و التحويلية :

أ) القواعد التوليدية التحويلية : النشأة و التطور :

تقوم القواعد من الزاوية الألسنية ، على تحديد الكفاية اللغوية التي يمتلكها المتعلم و التي تتيح له أن ينتج و يتفهم جمل لغته غير المتناهية سواء من حيث عددها أم من حيث عدد عناصرها ، و بتعبير آخر تصف هذه القواعد كل الجمل التي تندرج ضمن اللغة و تفسيرها. تهتم إذا القواعد بوصف جمل اللغة بصورة وافية و شاملة. فهي تصف قواعد الكفاية اللغوية العائدة إلى متكلم اللغة و التي تختلف عن قواعد الأداء الكلامي و يقتضي حل هذه المسألة اعتماد ما يسمى: الحدس اللغوي.

تحدد النظرية الألسنية التوليدية و التحويلية، في الواقع، موضوع دراستها بالإنسان المتكلم – المستمع السوي التابع لبيئة لغوية متجانسة تماما، و الذي يعرف لغته جيدا. و يمكن اعتبار المتكلم – المستمع، بالإضافة إلى اعتباره موضوع الدراسة الألسنية، مصدر اللغة عندما يستعمل، في أدائه الكلامي، معرفته الضمنية بقواعد اللغة.

فبصورة عامة ، يستطيع الإنسان الذي يتكلم لغة معينة ، أن ينتج جمل لغته و أن يفهمها و أن يدلي بأحكام عليها من حيث الخطأ و الصوّاب في التركيب.

نسمي مقدرة متكلم اللغة على إعطاء المعلومات حول مجموعة من الكلمات المتلاحقة من حيث أنها تؤلف جملة صحيحة أو جملة منحرفة عن قواعد اللغة ، بالحدس اللغوي الخاص بمتكلم اللغة ، و هذه الأحكام اللغوية التي باستطاعة متكلم اللغة إقرارها في ما يختص بجمل لغته هي التي توفر ، بالذات المادة اللغوية التي نضع من خلالها القواعد وذلك لأن عملية مساءلة الحدس اللغوي بالمتكلم تتيح ملاحظة القضايا اللغوية و استنباط قواعد اللغة من خلالها [1] .

(1) : ميشال زكريا ، الألسنية التوليدية و التحويلية و قواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة) ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت – لبنان ، ط2 ، 1406 هـ - 1986 م ، ص : 08 – 09 .

ب) القواعد المحدودة الحالات :

أو ما يسمى : "نحو الحالات المحدودة" ، يدرس تشومسكي ، في إطار نموذج نظري للتواصل ، حالة آلة تنطلق من وضع أولي لتصل إلى وضع نهائي و النتيجة هي إنتاج جملة : " إنه نحو الحالات المحدودة الذي يعده تشومسكي قويا جدا و عاما " لكنه غير قادر على وصف بعض الجمل[1] .

- و هذا النموذج يتصل بالتحليل النحوي للغة الانجليزية و غيرها من اللغات فهو يرى أنه يجب قَبُول ان عدد الجمل السليمة نحويا في أية لغة من اللغات هو من (الناحية النظرية) غير محدود ، و أن ما هو محدود عدد يتمثل في المفردات ، و مما لا شك فيه أن هناك تفاوتا في عدد المفردات التي يعرفها كل متكلم على حده ، كما أن هناك اختلاف بين المفردات النشطة و المفردات السلبية أي بين الكلمات التي يعرفها و يستعملها المتكلم و بين تلك التي هو على معرفة بها و يفهمها عندما يستعملها الآخرون [2] .

إن الجمل في نظر تشومسكي يمكن توليدها عن طريق مجموعة محددة من القواعد النحوية التي تعمل من خلالها عدد من المفردات وهذه القواعد قادرة على توليد عدد غير محدود من الجمل ، لكن عددًا من هذه القواعد لا بد أن يصلح للتطبيـــق أكثر من مرة وتسمى مثل هذه القواعد أو التراكيب باسم القواعد المتكررة : (القواعد التكرارية) [3] .

جـ) القواعد المركبية :

أطلق تشومسكي على النموذج الثاني الذي اعتمده في تحليل اللغة اسم القواعد المركبية، حيث تستطيع هذه القواعد أن تولد من الجمل ما لا تستطيع أن تولده القواعد

---

(1) : ماري آن بافو ، جورج إلياسرفاني ، النظريات اللسانية الكبرى ، ص :275 .

(2) : جون ليونز ، تشومسكي ، ترجمة : محمد زياد كبه ، النادي الأدبي بالرياض ط1 ، 1408 هـ ، ص : 38 .

(3) : جون ليونز : نظرية تشومسكي اللغوية ، ترجمة ، حلمي خليل ن دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – مصر ، ط1، 1985 م ، ص : 96 – 97 .

المحدودة الحالات، و لئن كانت هذه القواعد تشبه إلى حد بعيد طريقة التحليل إلى المكونات المباشرة و طريقة الإعراب التقليدية ، غير ان تشومسكي أضفى عليها طابعا علميا باستعمال قواعد توليدية مبنية على الرياضيات و المنطق الرمزي [1] .

فعلى سبيل المثال الجملة الانجليزية التالية ،و هي مستعارة من الأسئلة التي استشهد بها تشومسكي و هي : The man hit the ball

إنها تتكون من خمس كلمات وضعت وفق ترتيب دقيق و سوف يستعمل مصطلح "المكونات الجوهرية" للدلالة على الكلمات التي تتكون منها الجملة و التي لا تقبل التحليل على المستوى التركيبي، أما الترتيب الذي تتخذه هذه الوحدات الجوهرية و يربط بينها فيسمى التركيب الطولي للجملة [2] .

د) القواعد التحويلية :

في هذا النموذج قام تشومسكي بتطوير نموذج المكونات ، حيث أدخل قواعد جديدة تسمى " تحويلات نحوية " : " ينطبق تحويل نحوي على متوالية [.....] لها بنية مركبية معينة ، و يحولها متوالية جديدة لها بنية مركبية جديدة مشتقة "[3] .

إن القواعد التحويلية في نظره تعكس حدس أصحاب اللغة أفضل من غيرها من القواعد و تولد عددا لا حصر له من الجمل ، و تولي اهتماما كبيرا بالمعنى أكثر مما توليه القواعد المركبية، و تفك أقفال اللبس التركيبي التي استعصت على القواعد السابقة .

(1) : أحمد مومن ، مرجع سابق الذكر ، ص : 220 .

(2) : جون ليونز ، نظرية تشومسكي اللغوية ، ص : 114 .

(3) : ماري آن بافو جورج إلياس رفاتي ، مرجع سابق ، ص : 276 .

و تبنى القواعد التحويلية ، على القواعد التوليدية المركبية المستخدمة في النموذج الثاني مع إضافة سلسلة من القواعد التحويلية، وهي تهدف إلى تحليل البنية العميقة ، و كيف تتمخض عنها البنية السطحية التي تستعملها أثناء الكلام [1] .وبشكل عام، فإن هذه القواعد تتميز بالاختيارات المختلفة التي تقدمها لتوليد شتى أنواع الجمل، و هي تنطبق على اللغة الإنجليزية خاصة و التي لا يمكن تطبيقها بحذافيرها على اللغة العربية و من بين هذه القواعد [2]:

(أ) – قواعد تحويلية جوازية للبناء للمجهول

(ب) – قواعد تحويلية و جوبية للزمن .

(ج) – قواعد تحويلية و جوبية للفعل المساعد .

(د) – قواعد تحويلية للحدود الفاصلة .

(هـ) – قواعد تحويلية و جوبية فونيمية مورفيمية .

هـ) النظرية النموذجية :

في عام 1965 م أصدر تشومسكي كتابا قيما بعنوان " مظاهر النظرية التركيبية " طور فيه القواعد التوليدية و التحويلية ، فأصبحت هذه النظرية تعرف باسم النظرية النموذجية.

و من أهم النقاط التي بلورها تشومسكي في هذا المؤلف : الكفاءة و الأداء ، و البنية السطحية و البنية العميقة ، و النحوية و المقبولية ، و إدراج المعجم في المكون الأساسي، و يمكن الاختلاف بين النظرية الكلاسكية و النظرية النموذجية في إضافة "صندوق" للقواعد في هذه المرحلة أطلق عليه اسم المكوّن الدّلالي[3] .

---

(1) : أحمد مومن ، مرجع سابق ، ص : 223 .

(2) : المرجع نفسه ، ص : 228 – 229 .

(3) : نفسه ، ص : 231 .

في هذه المرحلة ذهب تشومسكي إلى أن المعنى – مثل التركيب تماما يجب أن يخضع للتحليل العلمي الدّقيق، و أن الدلالة يجب أن تدرج في التحليل النحوي بوصفها جزءا مكملا لا يمكن الاستغناء عنه .

و) النظرية النموذجية الموسّعة :

عمد تشومسكي في هذه المرحلة إلى تطوير النظرية النموذجية و تنقيحها و إعادة النظر في المكون الدلالي على وجه الخصوص فأطلق على هاته المقاربة الجديدة : النظرية النموذجية الموسّعة . و بدأ هذا التنقيح جليا في ثلاثة مقالات له ، جمعت في مؤلف واحد بعنوان : " دراسات الدّلالة في القواعد التوليدية " حيث يهدف من وراء هاته المقالات إلى إقامة نظرية معجمية تأويلية ، و ذلك بالتركيز بصورة أساسية على مكانة البنية العميقة ، و تقليص عدد القواعد التحويلية ، و إدراج القواعد المعجمية أكثر فأكثر [1] .

5) نظرية اللغة بين عبد القاهر الجرجاني و تشومسكي :

في عرضه للنظرية التوليدية التحويلية ، أهتم نعوم تشومسكي بعدة نقاط ، أهمها :

الكفاءة و الأداء. فالكفاءة او الكفاية تكون في امتلاك (المتكلم – السامع) القدرة على انتاج عدد هائل من الجمل في عدد محدود جدا من الفونيمات الصوتية، و القدرة على الحكم بصحة الجُمل التي يسمعها من جهة نظر نحوية تركيبية، ثم القدرة على الربط بين الأصوات المنتجة و تجميعها في مورفيمات تنتظم في جمل و القدرة على ربطها بمعنى لغوي محدد ، ذلك كله يتم بعمليات ذهنية داخلية يتم التنسيق بينها بما يسمى " إنتاج اللغة". و هذه القواعد و القوانين و تلك القدرة كامنتان في الذِهن ، و أما استعمالها (أي استعمال اللغة) فيسمى الأداء و هو الكلام أي الجمل المنتجة التي تبدو في فونيمات ومورفيمات تنتظم في تراكيب جملية خاضعة للقواعد و القوانين اللغوية الكامنة والمسؤولة عن تنظيم هذه الفونيمات و المورفيمات في تراكيبها[2] .

(1) : المرجع السابق ، ص : 232 – 233 .

(2) : عودة الله منيع القيسي ، العربية الفصحى (مرونتها ، و عقلانيتها و أسباب خلودها) ، دار البداية – عمان – الأردن – ط1 ، 1428 هـ - 2008 م ، ص : 47 .

و مثل هذا قاله الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) منذ القرن الخامس الهجري – الثاني عشر الميلادي – قال " و إذا كان لا يكون في الكلام نظم و لا ترتيب إلا بأن يصنع بها هذا الصنيع و نحوه و كان ذلك كله مما لا يرجع منه إلى اللّفظ شيء ، و مما لا يتصور أن يكون فيه و من صفته، كان لك أن الأمر على ما قلناه من أن اللّفظ تبع للمعنى في النظم، و أنّ الكلم يترتب في النطق حسب ترتب معانيه في النفس و أنها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتا و أصداء حروف .. لما وقع في ضمير ولا هجس في خاطر أنه يجب فيها ترتيب و نظم ، و أن يجعل لها أمكنة و منازل، و أنه يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك[1] .

فاللفظ تبع للمعنى في النظم ، و الكلم يترتب في النُّطق حسب ترتب معانيه في النفس، يعني شيئين : الأول : أن المرء لا يستقبل ألفاظا دون معان ، و غالبا ما تأتي الألفاظ في تعابير تقوم على معان مركبة و ثانيا : - أنه ينطق الألفاظ – غالبا – في تعابير تترتب في النطق و الكتابة حسب ترتيب معانيها في النفس (أي : العقل).

إذن – عبد القاهر الجرجاني – سابق لتشومسكي بقرون في معرفة هذه النظرية اللّغوية. و يضاف هنا أن المعاني – البسيطة منها و المركبة لا تسبق الألفاظ ، و إنما تتولدان و تتشكلان في وقت واحد معًا تقريبًا[2].

و من الملاحظ أن عبد القاهر الجرجاني قال بأن الألفاظ تترتب حسب ترتيب المعاني في (النّفس) و لم يَقُلْ ، في العقل ، لأن العقل لا يتحرك إلاّ إذا حرّكته النفس .

لقد اعتبر الجرجاني النظم – صحة و فسادًا – راجع إلى معاني النحو أي راجع إلى القالب الذي تشكل في خلايا الدماغ التي تخص اللّغة و هذا ما سمّاه تشومسكي الكفاية لأن معاني النحو راسخة في الخلايا المذكورة سابقا.

---

(1) : عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص : 55 – 56 .

(2) : عودة الله منيع القيسي ، مرجع سابق ، ص : 51 -52.

و صحة النظم و فساده ترجعان إلى معاني النحو أي أن صحة النظم و فساده إنما هي الصورة القولية الظَّاهرة ، أي هي الأداء ، كما عبّر عنه تشومسكي ، ومعاني النحو هي الكفاية[1] .

- إن تشومسكي يرى بأن المتكلم قد ينطق بالبنية السطحية – مقدّما جزءًا من الجملة النواة على الآخر ... و هذا كله لا يُقدّم و لا يؤخر في المعنى الذي في ذهن المتكلم أو في الكشف عنه .

و لكن يمكن القول أن تغيير الترتيب في الجمل في اللغة الإنجليزية قليل ، فهي ، على الأغلب ، ذات قوالب جامدة ، خلافا للغة العربية ذات القوالب المرنة ، و لكنّ الحق أن تغيير الترتيب يؤدي إلى تغيير في معنى التعبير (ظلال المعنى) ، و إن لم يؤثر في المعنى (المركزي) أو الغرض ، كما سماه الجرجاني أو المعنى (النواة) كما سمّاه تشومسكي .

و يقول الجرجاني عن هذا التغيير : " لا يكون لإحدى العبارتين مَزِيّة على الأخرى حتى يكون لها في المعنى تأثير لا يكون لصاحبتها "[2]. إذن فالجرجاني ، كان أكثر وعيا من تشومسكي إلى أن تغيير ترتيب الألفاظ في الجملة (وهو ما سمّاه تشومسكي: التحويل) يؤدي إلى تغيير في المعنى أي في ظلال المعنى على الأقل[3] .

<u>التركيب و البنى التركيبية :</u>

إن المتتبع لمعنى التركيب عند كثير من العلماء على اختلاف تخصّصاتهم و توجهاتهم وحتى عند الفلاسفة و المناطقة يجد له مفهوما خاصا إن اللّغويون القدامى يدرجون هذا المعنى في باب المسند و المسند إليه فسيبويه يرى أن المسند و المسند إليه هما ما لا

(1) : المرجع السابق ، ص : 55 .

(2) : الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص : 87 .

(3) : المرجع السابق ، ص : 57 .

يستغني أحدهما عن الآخر و قد أدرك البلاغيون أن النحو هو المنطلق الأساسي لفهم التراكيب اللغوية فنجد عبد القاهر الجرجاني يعطي نظرية في النظم (النحو) هي لحد الآن قائمة على أصولها وهي نظرية النظم التي هي : " توحي معاني النحو و ترتيب الكلام وفق قواعد تراعي الصواب النحوي و المعنوي "[1] .

إن عبد القاهر الجرجاني قد سبق الفكر الغربي في معرفة التركيب و هو بنظرية النظم يكون قد طابق ما يطلق عليه الغربيون اسم " Syntaxe" و علم التركيب الذي يختص بدراسة العلاقات داخل نظام الجملة و حركة العناصر[2] .

- أما تشومسكي فإنه يدرج ما يسميه بالبنى التركيبية، و علاقته بالجمل لأن الجملة عنده: " تتكون من عدة بنى تركيبية مختلفة " ، و قد أعطى للتركيب المكانة الأساسية، و رأى ان مهمته تتمثل في " تأدية الحساب عن البنية الداخلية للجمل ، فالكلمات و المورفيمات تتألف في مؤلفات وظيفية كموضوع الجملة و المحمول و المفعول "[3] .

و يرى أيضا باستقلالية التركيب ، فهو يرى : " التركيب مستقل عن الدلالة ، و لا علاقة له بها ، و لكي نعرف البنى التركيبية يجب أن نميز بين الجمل الأصولية و الجمل غير الأصولية "[4]

إن عبد القاهر يدعو لمراعاة الدلالة في التركيب حيث يقول : " ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق ، بل أن تناسقت دلالتها و تلاقت معانيها على الوجه الذي

---

(1) : صفية طبني : بنية التركيب النحوي و علاقته بالدلالة ، مجلة المخبر – أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري : قسم الأدب العربي ، جامعة بسكرة ، العدد الخامس مارس : 2009، ص : 01 – 02 .

(2) : المنصف عاشور ، التركيب عند ابن المقفع في مقدمات كتابه كليلة و دمنة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1982، ص : 15، نقلا عن المقال نفسه ، ص : 02 ،

(3) : جون سيرل : تشومسكي و الثورة اللّغوية ، مجلة الفكر العربي ، العدد 8 – 9 – ص : 128، نقلا عن المقال نفسه، ص : 02

(4) : المقال نفسه ، ص : 03

اقتضاه العقل ، و كيف يتصور أن يقصد به توالي الألفاظ في المنطق بعد أن ثبت أنه نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض و أنه نظير الصياغة ، و التحبير و التفويف و النقش "[1] .

و بالنسبة للبنية العميقة و البنية السطحية ، فإنها تعتبر من أهم القضايا التي أخذها تشومسكي على البنيويين في التحليل اللّغوي و بدأ بها هجومه الكاسح على منهجهم في وقت مبكر ، الاهتمام بسطح اللّغة دون عمقها ، لأن التعامل مع البنية السطحية لغة في نظره لا يقدم شيئا ، بل يعتبر علما ، لأنه لا يفسر شيئا ، و لكن الأهم هو الوصول إلى البنية التحتية أو العميقة للغة ، إذ من خلالها نصل إلى قوانين الطبيعة البشرية [2] .

وقد أصّل الجرجاني هذه الفكرة في نظرية النظم ، و أنه كان يهتم بالمعنى إهتماما بالغا و ليس باللفظ الذي هو تبع للمعنى ، فناقش قضية (البنية العميقة و السطحية) في دلائل الإعجاز ، حيث يقول : إنّ الكلام على ضَرْبَيْنِ : " ضرب لأنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده وذلك إذا قصدت أن تخبر عن " زيد" مثلاً بالخروج على الحقيقة، فقلت : " خرج زيد" ، و بالانطلاق عن " عمرو" فقلت " عمرو منطلق " وعلى هذا القياس .

وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، و لكن يَدُلّك اللفظ على معناه الذي تقتضيه موضوعُه في اللّغة، ثم تجد لذلك المعنى دِلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، و مدار هذا الأمر على " الكناية " و " الاستعارة " و " التمثيل " ... أو لا ترى أنك إذا قلت : " هو كثير رماد القدر " ، أو قلت " طويل النجاد" ، أو قلت في المرأة : "نؤُومُ الضحى" فإنك في جميع ذلك لا تُفِيدُ غَرَضَكَ الذي تعني من مجرّد اللفظ، و لكن

---

(1) : عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، تع و شرح عبد المنعم خفاجي مكتبة القاهرة – الطبعة الأولى 1969 ، ص : 49 – 50 .

(2) : النظريات اللغوية و النفسية و تعليم اللغة العربية ، العصلي ، عبد العزيز بن إبراهيم ، مطابع التقنية للأوفست – الرياض– السعودية ، د، ط : 1420 هـ - 1999 م ، ص : 75 .

يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره ، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى ، على سبيل الاستدلال ، معنى ثانيا هو غَرَضُكَ ، كمعرفتك من " كثير رماد القدر" أنه مِضْيَافٌ " ومن " طويل النجاد " أنه طويل القامة ، و من " نؤوم الضحى " في المرأة أنها مُترفة مخدومة ، لها من يكفيها أمرها"[1] .

فنظرية النظم عند الجرجاني تبحث في المعنى بشكل أساسي و توليه أهمية كبرى في الجملة و أن اللفظ تبع و مفسر له ، و هذا ما عناه تشومسكي بالبنية العميقة التي هي الأساس في الجملة ، و أن البنية السطحية هي المترجمة لها على صيغة الألفاظ الظاهر[2] .

و لهذا فإن مصطلحات النظم و المعنى و اللفظ عند الجرجاني تقابلها مصطلحات الكفاية و البنية العميقة و السطحية عند تشومسكي على التوالي و لها المعنى ذاته كما هي عند الجرجاني [3] .

(1) : دلائل الإعجاز ، ص : 262 ، ما بعدها .

(2) : النظريات اللغوية و النفسية و تعليم اللغة العربية ، مقال سابق ، ص : 74 – 75 .

(3) : علم اللغة النفسي في التراث العربي : جاسم علي جاسم ، مجلة الجامعة الإسلامية العدد 154 ، ص : 532 .